الجبهة الوطنية ومقاومة الفاشية

يستطيع سوى المتحمسين في الحلقة والمتحجرين الذين اصابهم التبلد أن يأسفوا بسبب دخول الشعوب في هذه المدرسة المضنية .

فهذه المدرسة تعلم الطبقات المضطهدة على خوض الحرب الاهلية ، تعلمها على الثورة الظافرة وتحشد بين جماهير العبيد المعاصرين ، ذلك الحشد الذي يحتفظ به العبيد المطبوعون المتبلدون، الجهلاء لأنفسهم امد الدهر ، والذي يقودالعبيد الذين احسوا بعار عبوديتهم ، صوب مآثر تاريخية عظمى .)

ولكن الطبقة العاملة ، لكي تستطيع ان تؤدي دورها التاريخي على الوجه الأكمل ، فانهامطالبة بان توحد عملها في التظاهر القومي والطبقي . (ان تحقيق وحدة عمل جميع فصائل الطبقة العاملة ، بصرف النظر عن انتسابها الى هذا او ذاك من الاحزاب والمنظمات ، هو أمر ضروري قبل ان تتحد الطبقة العاملة للنضال من أجل الاطاحة بالرأسمالية ، وانتصار الثورة البروليتارية) .

الحزب الشيوعي الثوري محرك نشاط البروليتاريا الكفاحي

ويرد ديمتروف على اولئك الذين يرفضون الدخول في جبهة عمل موحدة مع الاحزاب الشيوعية ، بحجة قلة عدد اعضائها وصغر حجمها ... يرد ديمتروف بالتأكيد على اهمية دور الشيوعيين مستشهدا بالدور الكبير الذي لعبه الحزب الشيوعي النمساوي الصغير (الذي نبه الى الخطر الفاشي في النمسا في حينه ، ودعا العمال الى الكفاح . وقد دلت مجمل تجربة الحركة العمالية على ان الشيوعيين حتى عندفتهم العددية نسبيا، هم محرك نشاط البروليتاريا الكفاحي . وفضلا عن ذلك لا ينبغي ان يغيب عن الاذهان) كون (حزب الشيوعيين لا يقتصر على عشرات الالف من العمال الذين يؤيدونه ، بل هو جزء من الحركة الشيوعية العالمية ، وقطاع من الاممية الشيوعية) ان الشيوعيين هم دعاة عمل موحد ، دعاة جبهة وطنية مع القوى والاحزاب السياسية والمنظمات المهنية الوطنية . ولكنهم لا يستطيعون (بالطبع ، ولا ينبغي لهم ان يتخلوا لحظة واحدة عن عملهم المستقل في التثقيف الشيوعي وفي تنظيم الجماهير وتعبئتها) ولكن ضمان الطريق نحو وحدة عمل العمال يستلزم من الشيوعيين ان يسعوا (في الوقت ذاته سواء نحو اتفاقات قصيرة الامد او طويلة الامد في سبيل القيام باعمال مشتركة مع الاحزاب الاشتراكية الديمقراطية والنقابات الاصلاحية وغيرها من منظمات الشغيلة ضد اعداء البروليتاريا الطبقيين، وفي هذه الحالة يجب توجيه الاهتمام الرئيسي الى توسيع الاعمال الجماهيرية المحلية التي تقوم بها منظمات القاعدة من خلال اتفاقات محلية.)

ولكي يتحقق للشيوعيين قيام الجبهة وينجحوا في اخراجها من حيز الفكرة ، الى ميدان الترجمة والعمل ، فانهم مطالبين بان يبدلوا الفلاحين الكادحين وارباب الحرف والمثقفين العاملين على الجبهة التي يتهددهم منها الخطر الفعلي، وعليهم ان يظهروا بصورة محسوسة من الذي يرهق الفلاح بعبء الضرائب والرسوم ، وينتزع منه الفوائد المئوية، ومن يمتلك خيرة الاراضي وجميع الثروات ، ويطرد الفلاح واهله من ارضه ويعرضه للبطالة والنسول . عليهم ان يوضحوا بصورة ملموسة وبناءة ومثابرة ، من الذي يثقل كاهل الحرفيين بالضرائب والرسوم وبدلات الايجار العالية والمنافسة التي لا تطاق ، ومن يلقي الجماهير الواسعة من المثقفين العاملين على قارعة الطريق وبجردها من العمل .

ومع كل ما تقدم فان (الامر الحاسم في بناء الجبهة الشعبية المعادية للفاشية ، هو ان تعمل البروليتاريا الثورية عملا حازما دفاعا عن مطالب هذه الفئات ، وعلى الاخص مطالب الفلاحين الكادحين ، المرتبطة بالمصالح الجذرية للبروليتاريا ، وان تربط في مجرى الكفاح مطالب الطبقة العاملة بهذه المطالب .

ومما له اهمية كبرة عند بناء الجبهة الشعبية المعادية للفاشية ، ان نتخذ موقف صائب من تلك المنظمات والاحزاب التي تضم عددا كبيرا من الفلاحين الكادحين والجماهير الاساسية للبورجوازية الصغيرة في المدن .)

شروط الانتفاضة

وعندما تحدث ديمتروف عن اشكال الانتقال والمضي نحو الثورة البروليتارية ، اعاد الى الاذهان القانون الاساسي لكل الثورات العظمى، الذي يقول : (بان الدعاية والتحريك وحدهما ليسا يقادرين على ان يعوضا عن التجربة الثورية الخاصة للجماهير ، عندما يتعلق الامر باجتذاب جماهير الشغيلة الواسعة حقا الى جانب الطليعة الثورة ، وهو الشرط الذي لا يمكن بدونه شن النضال الظافر من اجل السلطة.) والخطأ المألوف لدى الانعزاليين اليساريين هو تصورهم ، بان العبادة الشيوعية تستطيع بمجرد انبثاق الأزمة السياسة « او الثورية » ان تطرح شعار الانتفاضة الثورية ، فتسير الجماهير الواسعة وراءها !

كلا ، فان الجماهير ليست مستعدة لذلك دائما) حتى في اوقات الازمات ، فان الجماهير الغفيرة بحاجة الى مساعدة لكي تدرك (بالسرعة الممكنة ، ما الذي ينبغي آن تفعل ، وابن تجد الحل الحاسم ، واي حزب جدير بثقتها ، ذلك هو ما يجعل من الضروري ، سواء الشعارات الانتقالية ، او الاشكال الخاصة « للانتقال او المضي نحو الثورةالبروليتارية » والا فان الجماهير الشعبية الواسعة ، الواقعة في شراك الشعارات والتقاليد الديمقراطية البورجوازية الصغيرة، يمكن ان تتردد حتى في حالة وجود وضع ثوري، وان تفصل وتتخبط ، دون ان تجد الطريق الى الثورة ، ومن ثم تقع تحت ضربات الجلادين الفاشست .)

الشيوعيون ومشاعر الامة القومية

وهنا ينتقل ديمتروف في عرضه لمقومات العمل من اجل الجبهة الوطنية الموحدة ، الى الصراع الايديولوجي ، فيؤكد على ضرورة ان يشن الشيوعيون (نضالا ايديولوجيا واسعا على اساس الحجج البسيطة والواضحة ، والسلوك الصائب المحكم التدبير ازاء تميز الخصائص النفسية القومية للجماهير الشعبية.) لكي يقطعوا الطريق على اعداء الشعب الفاشست الذين ينبشون تاريخ الشعب ليظهروا بمظهر الورثة والمواصلين لكل ما هو سام وبطولي في ماضيه ، ويستغلون كل ما هو مشين ومهين لمشاعر الشعب القومية، كسلاح ضد اعداء الفاشية .) ففي المانيا صدرت مئات الكتب لتزور تاريخ الشعب الالماني بما يتماشى مع الروح الفاشية ، لتظهر هتلر على انه منقذ للشعب الالماني ، ولتظهر بالمقابل اعظم رجالات الشعب الالماني في الماضي ، وكانهم فاشست ، وتصور الحركات الفلاحية الكبيرة ، وكانها ارهاصات مباشرة للحركة الفاشية .

(وبسعي موسوليني سعيا حثيثا الى خلق رصيد له ، على حساب شخصية غاريالدي البطولية . وبلوح الفاشست الفرنسيون بجان دارك كبطلة من ابطالهم . وينادي الفاشست الامريكيون بتقاليد حروب الاستقلال الامريكية ، وبامجاد واشنطن ولنكولن . ويستغل الفاشست البلغار حركة التحرر الوطني في سبعينات القرن الماضي ، وابطالها المجيدين ، فاسيل لبنسكي وستيفان كاراجا وغيرهما .

اما اولئك الشيوعيون ، الذين يكفون ، ان ذلك كله لا صلة له بقضية الطبقة العاملة ، والذين لا يفعلون شيئا ، ليضيئوا امام الجماهير الشعبية ، ماضي شعبهم ، بطريقة صحيحة تاريخيا ، وبالروح الماركسية الحقة ، الماركسية ـ اللينينية الحقة ، لربط نضالهم الراهن بتقاليده الثورية في الماضي ... آن اولئك الشيوعيين يقدمون عن طواعية الى المزودين الفاشست ، كل ما هو ثمين في تاريخ الامة ، لتضليل الجماهير الشعبية .)

(اننا نهتم بكل مسالة خطيرة ، لا في حاضر ومستقبل شعبنا ، وحسب ، بل وفي ماضيه ايضا . ونحن الشيوعيين ، لا ننتهج سياسة ضيقة الافق ، سياسة المصالح اليومية للعمال، لاننا لسنا مناضلين نقابيين محدودين ، ولسنا كقادة الحرفيين في القرون الوسطى ، وانما نحن ممثلو المصالح الطبقية لاهم واعظم طبقة في مجتمعنا المعاصر ... الطبقةالعاملة ، المكلفة بمهمة تحرير البشرية من اهوال النظام الرأسمالي ، والتي اطاحت بنير الرأسمالية وبانت الطبقة الحاكمة في سدس الكرة الارضية . اننا حماة المصالح الحيوية لجميع فئات الكادحين المستغلين ، اى لاغلبية الشعب الساحقه في بلد راسمالي .

واننا نحن ، الشيوعيين ، لخصوم مبدئيين الداء للقومية البورجوازية بكل اشكالها ، غير اننا لسنا انصار للعدمية القومية ، ولا يجوز لنا ان نتصرف هكذا ابدا . وان مهمة تربية الجماهير الاساسية لكل حزب شيوعي ، هي في ان يراعي ذلك بسبع له وحتى يلزمه بان يعمق ويوسع المشاعر القومية للجماهير الكادحة ! ، ولم يعبر لينين وستالين فيما يتعلق بالمسالة القومي لدى الجماهير واهميته في تعريف الكراهة القومية الروسية .

هذا ما كتبه لينين عن الاعتزاز القومي .

واننى لاعتقد ، ايها الرفاق ، باننى لم اكن التصرف في محكمة لابتزوخ حينما تحدثت عن الشرف القومي للجماهير الكادحة في ضد مضطهبي السلطة الفاشست اولئك الوحوش الحقيقيين في محاولتهم لوصف البلغاري بالبربرية (تصفيق) .

ايها الرفاق . ان الاممية البروليتارية ان تتاقلم ان صح هذا التعبير في كل بلد جذورا عميقة في تربة الوطن . فالنضال البروليتاريا الطبقي. والحركة في مختلف البلدان لا تتنافى مع الاممية بل على العكس ففي هذه الاشكال بالذات الدفاع بنجاح عن المصالح الاممية البروليتارية .

(انا ، اذا ناضلنا بهذه الروح ، واذا البتنا في مجمل عملنا الجماهيري وعلى انا متحررون من العدمية القومية البورجوازية القومية على حد سواء ، فاننا سنستطيع شن نضال ناجح حقا ضد الفاشية الشوفينية .)

ولكي نجد هذا النهج الوطني الاممي للتطبيق والترجمة العملية ، فلا بد من الحزب الشيوعي اهمية دوره القيادي في من اجل اقامة الجبهة الوطنية الموحدة (وحده ، في الواقع ، المبادر والنظم الوحيد للطبقة العاملة ، وهو لوحده الحزب الوحيد القادر على ان يستطيع الاحزاب الشيوعية ، جماهير الكادحين الواسعة للنضال الفاشية وزحف راس المال ، الى صفوفها تعزيزا شاملا ، وتطوير

ولهذه الاسباب كلها ، ينبغي على الشيوعيين، وسائر الكادحين بروح الاممية ، في هي الاساسية لكل حزب شيوعي . لكن من ذلك يسمح له وحتى يلزمه بان يعمق ويوسع المشاعر القومية للجماهير الكادحة ! ، ولم يعبر عن البولشفية الحقة ، ولم يعبر لينين وستالين فيما يتعلق بالمسالة القومي لدى الجماهير واهميته في تعريف الكراهة القومية الروسية .

وسنطرد ديمتروف في تاكيده على ان فسندعمها (نحن الشيوعيين ، دعما شاملا ، مستشهدا بمقال لينين : (حول الاعتزاز القومي) وسنقاتل ، بعضنا جنودا للثورة ، في خط النار الامامي . ولكننا نقول بصراحة للجماهير : ان هذه الحكومة لا تستطيع ان تجلب الخلاص النهائي . فهي غير قادرة على الاطاحة بالسيادة الطبقية للمستغلين ، ولذلك فانها لا تستطيع ان تزيل خطر ثورة الردة الفاشية كليا . وعليه فمن الضروري ان تستعد للثورة الاشتراكية ! فلا خلاص الا بالسلطة السوفييتية !)

• مناضلة فيتنامية تتحدث

هذه شهادة « هوين في كيان » التي تعمل الان ممرضة في صفوف الثوار، العيام الجنوبية ، تعطي فكرة مرعبة عن اجراءات الاميركيين هناك .

كي احكي قصتي ، ارى لزاما علي اولا وقبل كل شيء ان احكي ما شاهدته في الاقليم الذي نشأت فيه . عشت قرب مدينة دانانغ ، الميناء الكبير ، من المحتمل انكم سمعتم كثيرا ، من خلال الصحف والاذاعة ، عن الجرائم التي ارتكبتها القوات الاميركية ، وانا شخصيا كنت ضحية لها وشاهدا عليها . فعندما جاءت القوات الاميركية الى قريتي ، استخدمت سيارات « البلدوزر » وسوت جميع المنازل والاكواخ بالارض ، بغية ان نقيم محلها مراكز عسكرية . فيان كوانغ قرية مجاورة لنا . وعندماقصفتها القوات الاميركية ، هرع الشباب مسرعين لانهم ابناء . اما المسنون والاطفال الذين تخلفوا فسالهم الاميركان الى الخنادق . ثم فجروا الالغام والقنابل في الخنادق . فقتل خمسة واربعون شخصا . وحينما قضي عليهم ، داسهم الاميركان تحت اقدامهم . وفي نفس الوقت فصلت المدرسة في فيان كوانغ وقتل خمسة واربعون تلميذا في الفصول الدراسية .

ساحكي لكم قصة اخرى شاهدتها . فقد كانت امراة على وشك ان تضع مولودا في بحر اسبوعين . وخلال احدى الغارات ، ارغمها خمسة من الجنود الاميركان على دخول غرفة وحاولوا اغتصابها ، غير انها قاومت . وما كان من الجنود الاميركان الخمسة الا ان وثقوها في السرير واغتصبوها حتى فارقت الحياة . وبعد ذلك بقروا بطنها بالحراب لاخراج الجنين. ثم اخذوا يقهقهون .

وحادثة اخرى ـ حاول جنديان اميركيان اغتصاب امراة ام لطفل صغير عمره عامان . فقاومت الا انهم شدوا منها الطفل ومزقوه فطعنين بالحراب . ثم اخذوا الطفل الى مطبخ واحرقوه مع امه .

وبخصوص قصتي ، فانني كنت ، كامراة وفلاحة مثل اي امراة وفلاحة عادية اخرى في الجنوب ، كنت اعمل بصعوبة بالغة لاعيش . ولكن ، عندما شاهدت بام عيني هذه الجرائم الوحشية التي يرتكبها الجنود الاميركان ، اعتراني سخط شديد . وفي سبيل الدفاع عن نفسي وارواح اسرتي ، لم يكن امامي من طريق سوى الانضمام للنساء الاخريات للنضال . وهكذا ، اشتركت في معارك كثيرة لمحاربة الاعداء عندما كانوا يغيرون على قرانا . وقد جرحت في احدى المعارك . كان ذلك في ربيع عام ١٩٦٧ ، وكنت ابلغ حينذاك ٢١ عاما . جرحت من جراء رصاصة في ساقي . ثم تقدم الجنود الاميركان ، فاصبت برصاصة اخرى ، ونزف مني دم غزير . شعرت بالاعياء ولم اعد قادرة على السير . فحاول احد رفاقي ان يحملني بعيدا ، بيد انني منذ عرفت ان جراحي خطيرة ادركت انني عاجزة عن مواصلة القتال . وقلت : « انني نسير على الاقدامنا فقط ـ اما هم فلديهم سيارات متحركة وقوات مدرعة » . وهكذا طلبت من رفاقي ان يخبئوني في اي مكان .

اكتشف العدو مكاني ، واحاط بي ١٧ جنديا اميركيا وقالوا انني من الفيتكونغ . انكرت ذلك. فنادى الجنود الاميركان عميلين من « الكوماندوس » كانا بعيشان في قريتي ، وقالا انهما يعرفانني جيدا ، ولذا تعرضت للتعذيب . لقد ضربوني بقسوة وسالوني عن امكنة جميع رفاقي وابن توجد الذخائر كلها التي نخبئها في القرية .

فكرت عليا وقررت انني افضل الموت عن ان يقتل رفاقي وربما يتعرضون للقتل بسبب المعلومات التي ادلي بها . ولم يستطع الجنود الاميركان والعميلان ارغامي عن طريق التعذيب، على الكلام ولذا لجاوا الى الحرب النفسية . وقال لي العميلان انه لامر عادي بسبب انني الحالي . وقلت انهم فيتناميون اجبروا على عمل هذه الاشياء في السجن غير انهم لا زالوا يتحلون بمشاعر انسانية . وكانت المعرفة التي تعمل بالسجن لطيفة جدا معي ، حاولت ان تجلب بعض الدعاء لتقلها الي . وكانت كل يوم تغسل جروحي وحاولت ان تحصل على اي شيء لي لوضع حد لها .

بيد ان هناك ايضا ممرضات فاسيات للغاية. فمثلا ، كان ثمة ممرضون ـ عندما كانوا يانون لوضع ضمادات جديدة ، يحاولون ان يضعوها بطريقة توحي بانها نوع من التعذيب من جديد . وعندما يغيرون الضمادات ، يضربون بعضاتهم عظامي المكسورة بشدة . شعرت بهزات تعتري جسدي كله . وما هو اكثر قسوة ، انهم كانوا يستخدمون مقصاتهم لوخز عظامي المكسورة بالركبة . وعندما يفعلون ذلك اصاب بالاغماء .

ولكنني قلت لهم في وجوههم انني اهزأ بافعالهم لانني تعرضت لكافة انواع التعذيب ولم اقل شيئا . والان ، لن يجعلوا عيني تذرفان الدموع الا بصعوبة ، واصبح هؤلاء الممرضون الاشرار معقدين جدا لمثل هذا المشهد . وبعد آن بتركوني، اصاب باغماء من جديد لان ذلك مؤلم ، مؤلم جدا .

بعد ذلك ، نقلوني الى غرفة الطوارئ للمعالجة، لم يستجوبوني لانني لم اكن قادرة ، وبعد ان شفيت نوعا ما ، كانوا ياخذونني كل يوم الى غرفة التحقيق لاستجوابي مرة بعد الاخرى ، لم اقل لهم اي شيء ابدا ـ بغض النظر عما كانوا يفعلونه بي ، لقد حققت عليهم كثيرا ، ولم اقل شيئا .

اعادوني الى السجن ، وبعد حوالي شهر تحسن جرح ساقي ـ وقد بذل الاميركان والكوماندوس جهدا كبيرا لعلاج جروحي حتى اصبح في حالة جيدة . وهم الان يريدون تعذيبي للمرة الاخيرة . عقدوا اجتماعا لمناقشة تجربتهم معي ـ لمعرفة كيف يحصلون على المعلومات مني. وحضرت الاجتماع المعرفة التي كانت لطيفة معي . وكانت تبكي حينما جاءت لتخبرني عن الاجتماع لانها كانت خائفة من انني قد اموت من هذا التعذيب . وقالت لي ان المستشارين الاميركان والكوماندوس وضعوا خطة لتعذيبي .

وطبقا لراي المستشار الاميركي ، فانهم قد يطبقون نفس الاجراءات التي اتخذت من قبل ـ قد يقطعون ساقا اخرى . قد لا يقتلونني ولكن قد يقطعون ساقي الاخرى ، لاكون عبرة للفيتكونغ الاخرين . واذا عشت ، ساكون عاجزة ولن اقدر على عمل اي شيء . واقق الكوماندوس الفيتناميون على هذه الخطة ، وقالوا انهم سينفذون ذلك صباح اليوم التالي الساعة السابعة .

وبعد ان تركتني المعرفة ، فكرت بصعوبة حول الشيء المريع الذي قد يحدث لي صباح اليوم التالي . اخذت افكر كيف التحقت بالنضال لتحرير العائلات ونفسي واشقائي وشقيقاتي والقرويين والوطن بصفة عامة . وفكرت انني اذا مت ، فان اخرين كثيرين سيعيشون ويناضلون في سبيل القضية التي اتبعتها ، وصممت على ان اظل على ولائي . لا يمكن ان يشتريني العدو ، ولا يمكن ان اقول آي شيء عن رفاقي ، ولا يمكن ان اخون بلادي . انني افضل الموت . وبينما كنت افكر في هذه الاشياء ، غبت في النوم ، وفي عقلي انني مستعدة لمواجهة كل شيء .

وعندما استيقظت في صباح اليوم التالي ، قدموا لي كوبا من حساء الارز . ومن اعماق قلبي ، لم اكن راغبة في الاكل لانني علمت ان اشياء مروعة سوف تحدث . ولكنني حاولت فخذي اليمنى . وفي كل مرة كانوا يضربون ، كنت اشاهد المستشارين الاميركيين ينفجران من الضحك . وبدا انهما مرتاحان لهذا المشهد . وكان شعوري الوحيد هو انني وددت لو اقتلهم ، وفي اخر مرة داسوا علي فيها اصابني اغماء .

وبعد الاغماء ، وضعوني في غرفة الجثث بالمستشفى ـ لقد ظنوا انني مت . وكانت المعرفة الطيبة تراقب كل شيء عن كثب ـ حاولت ان تحصل على دواء لانقاذي . وطلبت الى الطبيب ان يعالجني ، وبعد ذلك حاولت مساعدتي على الهرب . وبعد بضعة ايام ، كنت اصاب بالاغماء مرات كثيرة ، وشعرت بمرض شديد . وعندماافقت ، سالت المعرفة عما حصل لساقي، وقالت لي انهم ضربوا ساقي مرات كثيرة . تلف شرياني ، فظن القائد انني مت ـ ولهذا السبب القوني في غرفة الجثث . وحاولت المعرفة وصديقها الطبيب ان يعالجوا عظامي المكسورة .

وبعد اليوم الرابع من تعذيبي ، انقذني القرويون ورفاقي في السلاح ، وحرروني من السجن . وبعد ذلك ، عولجت في المناطق ، بقيت مريضة لمدة طويلة ، واصبحت ضعيفة جدا واصبح وزني ٣٦ كيلو غراما (٨٠ رطلا) . بعد ذلك ، ارسلت لتلقي العلاج . واذا اردت ان احكي لكم عن الجرائم التي ارتكبتها القوات الاميركية في الجنوب ، فان ذلك يستغرق سنوات، لست انا الوحيدة التي عانت من هذه الجرائم، ولكن هناك الكثير من القرويين الذين عانوا ذلك ايضا .

ترجمة : « الهدف »

أجمل البنطلونات
عند
عطاالله فريح